تطهير ثقافي لمهد الحضارات

داعش ليست المجرم الوحيد في نهب الآثار وتدميرها

إعداد: مها محفوض محمد

آلاف السنين من تاريخ سورية والعراق تمحى صفحاتها بيد همجية جاءت لتدمر ما تكتنزه هذه المنطقة من تراث وطمس هويتها ودفن حضارة قدمت للبشرية الأبجدية الأولى.

الحضارة التي أنتجت الكتابة وأولى المكتبات وأول تشريع قانون وفن العمارة الدهش وأول تحديد لشهور السنة الاثني عشر وغيره الكثير... فماذا سيبقى من قلب العالم الذي صنع الأسطورة البابلية وشيد برجها الذي يعانق السماء في زمن تهاجم فيه مواقع الآثار بالآليات وتدمر تدميراً ممنهجاً؟

هذا ما نشهده اليوم في مواقع سورية الأثرية منذ اندلاع الحرب فيها كما شهدناه في العراق منذ الغزو الأميركي عليه عام ٢٠٠٣ ولا يزال وسط فوضى وخراب تشهده المدن العراقية منذ أن بدؤوا بوضع قاعدة أميركية على أنقاض بابل ليبدأ بعدها نهب متحف بغداد وغيره من المواقع الأثرية على أعلى مستوى، اليوم تحطم الآثار بالمطارق اليدوية والآلية في متحف الموصل وفي شمال سورية حيث جرفت آليات البلدوزر مواقع نمرود ونيفين آخر عاصمة للآشوريين وتماثيل آشورية أخرى تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد.

إن تدمير الكنوز الأثرية في سورية والعراق هو شهادة جديدة على حرب شاملة تشن على المنطقة وعلى ثقافتها وتظهر درجة التهديد الذي يضغط على تراث الإنسانية فهي حرب لإفراغ مهد الحضارات من ثقافتها أي هي حركة «تطهير ثقافي» لحضارة هذا الشرق وذاكرته وهويته، وبحسب تقارير الأمم المتحدة فقد تم تدمير أكثر من مئة موقع أثري شمال سورية وعشرات المواقع جنوبها ووسطها مع أنه من الصعب الآن جرد أو تقييم وضع الأماكن الأثرية والتي تبلغ حوالى ١٥ ألف موقع أثري على امتداد سورية وبلاد الرافدين حيث بدأ هذا النزف للتراث منذ العام ٢٠٠٣ وامتد بشكل مرعب ليشمل مناطق بعيدة حتى في عمق الصحراء لم تسلم من همجية هؤلاء البرابرة.

تقول صحيفة لوموند التي تتناول كثيراً هذا الموضوع: إن الطريقة الوحشية التي تنقب بها داعش عن هذه الآثار تغذي تهريباً وبيعاً محظوراً لهذه التحف في السوق السوداء وتفوض بعض شبكات المافيا المنظمة إلى هؤلاء السارقين طلبات بالقطع الواضحة من البرونز والذهب والنحاس التي يستدل عليها بكواشف خاصة بالمعادن، حيث كان يتم طمر هذه القطع النفيسة من حلي وأوان فضية وذهبية وسلاح كما كان يحصل في مصر واليونان القديمة إذ كان الناس في ذلك الزمن يعتقدون أنهم يدخرون ما لديهم للحياة الآخرة.

إن صور الأقمار الصناعية ترينا بوضوح كيف تبدو المواقع بعد عمليات النهب مخروقة بالحفر كثقوب في مصفاة، أما القطع المسروقة فيتم إخفاؤها في سراديب تحت الأرض ريثما يتم إخراجها إلى السوق السوداء، والتماثيل الضخمة يتم تقطيعها ليسهل نقلها فهذا التهريب الذي كان محظوراً هو الآن مورد رئيسي لداعش مع البترول، هؤلاء الذين يعيثون فساداً ما بين الرقة والموصل ينتشرون على أنقاض آثار نيفين مركز الإمبراطورية الآشورية حين كانت في أوج سلطتها وتمتد من محيط البحر الأبيض المتوسط إلى إيران حالياً وكانت في معظمها من المسيحيين ثم عاصمة للمسلمين الذين تعاقبوا على المنطقة والموصل التي كانت تحمل بصمات عددية من هذه الحضارة، محاها هؤلاء المجرمون الذين تدفعهم الوهابية المنتشرة من المغرب إلى أندونيسيا بفضل الدعم اللامحدود من النظام الملكي السعودي- والحديث دوماً لصحيفة لوموند- وتتابع:

يعتبر هؤلاء أن كل مسجد مبني حول ضريح هو مكان لا يصلح للتقوى إنما لعبادة الأوثان يجب هدمه كما دمروا جميع المقدسات المسيحية هناك، وقد طال الاجتثاث الثقافي أماكن المعرفة في الموصل كالجامعة والمكتبة الوطنية حيث تم تجميع آلاف الكتب وحرقها كما فرضوا تدريس علوم الشريعة الوهابية وأزالوا المباني التي كانت تدرس فيها علوم الفلسفة والآثار، وفي موقع ماري السوري الذي نهب عام ٢٠١٤ حين أراد أحد الحراس معرفة ماذا يحصل قطعوا رأسه، لكن داعش ليست المجرم الوحيد في اقتراف الجريمة بحق هذا الإرث الثقافي بل هناك من يقف وراءها في هذا التدمير وعلى مرأى الجميع.

باسكال بيرتيرلان مدير البعثة الأثرية الفرنسية لموقع ماري في سورية يتحدث أيضاً إلى مجلة لوبوان حول هذا الموضوع قائلاً: «يا لهول ما جرى لقد أرسلوا الإشارات إلى الشمال السوري منذ العام ٢٠١٤ قبل تحطيم الآثار كما فعلوا في تمثال بوذا في أفغانستان حيث بدؤوا بالانتهاكات قبل تفجيره بالديناميت، وفي الحسكة حطموا التماثيل الآشورية بالمطارق الضخمة كما فعلوا في الحضر والموصل قبل تدمير التماثيل الضخمة.

أقول بأسى واحسرتاه لقد كان لدينا آلاف الآثار المفهرسة وما كنا نسميه مملكة بلاد الرافدين الغنية بكنوزها، اليوم أصبحت هذه المناطق الأفقر بعد فقدانها تلك الكنوز وهؤلاء بالطبع أشخاص غير مهنيين ينقبون بطريقة همجية، فعندما تشاهد صور الأقمار الصناعية لهذه المواقع ترى أماكن التدمير فيها وكأنها بقع جدري الماء على جسد مريض فكل مترين هناك حفرة عميقة وقطرها متران وهذا شيء محزن جداً، إنهم يهدمون أعمالاً استغرقت عشرات السنين لإنجازها وكم عملت علوم الآثار الحديثة على إحيائها بعد أن كانت منسية، فهناك تلال ورواب صنعتها براعة إنسان تلك المنطقة حيث ترى طبقات بشرية تشبه رقاقات الحلوى إنه ابتكار عجيب، هذا وكان العراقيون قد قاموا باكتشاف غير مسبوق قبيل العام ١٩٩٠ لقبور ملكات آشوريات تزيّن بحلي فاخرة من العقيق الأحمر واللازورد والذهب، وبتعبير اكتشاف الآثار فإن ذلك يعادل مدفن توتان خاموت وبعدها توقف البحث لسنين عدة لتأتي داعش اليوم وتدمر المكان كله. لقد كان نهب متحف بغداد عام ٢٠٠٣ حدثاً مفصلياً ومعركة حقيقية في علم الآثار، واليوم ومع هجوم داعش على الآثار بهذه الطريقة فإن المنطقة أمام منعطف تاريخي.

وفي مدينة حلب فقد تم تدمير ٦٠٪ من آثارها حيث استهدفت المدينة القديمة وحرق سوقها الذي يعتبر من أهم المواقع الأثرية ولا يشابه عملية تدمير هذا التراث سوى الذي حصل في يوغسلافيا السابقة حيث يحكى عن أكبر كارثة في التراث منذ الحرب العالمية الثانية.

أيضاً قلعة حلب التي هوجمت وحوصرت لأشهر كان يجري فيها تنقيب مهم جداً عن آثار البيزنطيين وإخراج معبد إله الإعصار ومعبد ضخم عليه نقوش الحثيين، ففي سورية كانت هناك ورشات عمل للتنقيب عن الآثار قبل الحرب لكن للأسف توقفت جميعها ودمرت مواقع كثيرة في حلب وإدلب وحمص وفي المنطقة الجنوبية.

وعن سؤال أن تهريب الآثار يمثل ثلث تمويل داعش يقول بيرتيرلان:

هذه تقديرات الأميركيين قبل الاستيلاء على الموصل وتدمير داعش للصروح التحتية التي من الصعب جداً تحريكها وبحسب رؤية داعش القبلية فإن مكان المسروقات ينتمي إلى القبيلة، لذلك فرضوا ضرائب على جميع المسروقات الأثرية وقيمتها ٢٠٪ على كل قطعة كما فعلوا في ماري حيث قاموا هناك بحماية السارقين وفي مواقع أخرى تقاتلوا وتذابحوا في حين لا يظهر الجانب الآخر من حركتهم في بيع هذه القطع، وأعتقد أنه وبالنظر إلى الحفر الموجودة فقد يتم تخزينها لسنوات طويلة وقد تعود للظهور خلال ثلاثين عاماً قادمة وهناك سوق خاصة للقطع المنهوبة والطلب عليها كثير حيث يتم تهريب هذه الآثار عن طريق تركيا ولبنان والأردن، أما جنيف ولندن فهما مركز توزيع هذا السوق منذ العام ٢٠٠٣ لكن مفتاح التهريب الأساسي فهو في مخيمات اللجوء حيث لا رقابة على هؤلاء ولا يمكن ضبطهم ما يمهد لكوارث مستقبليه لأن هذا التراث هو ذاكرة شعوب المنطقة ولا يجوز أن تدمره الحروب، ففي شباط الماضي تم تقدير قيمة الآثار العراقية المهربة بـ٧ مليارات يورو مع أن مجلس المتاحف الدولي (ICOM) نشر قائمة عليها صور نموذجية لجميع الآثار التي يمكن أن تهرب من سورية والعراق ويجري تفعيلها في الجمارك والأنتربول الدولي وهناك من تم توقيفهم مع حقائب فيها لويحات أثرية لبلاد الرافدين، لكن المقلق في هذا الصراع أن القطع التي ظهرت إلى العلن قليلة جداً نسبة إلى الحفر الموجودة وهناك دول تريد تشريعاً منسوخاً للطريقة التي ستتعامل بها، لكن ومع الحرب هناك خليط من الحالات المعقدة وسلوك شديد التضاد مع من يريد حماية هذا النهب، كما تقوم اليونيسكو بتذكير الدول المحيطة بسورية للعمل على تطبيق اتفاقية الحد من الاتجار بالآثار.

اليوم وفي ظلمة متحف أو موقع أثري بعد تدميره وسرقته وعمليات قتل وقطع رؤوس ونقاط مراقبة وثكنات مجرمين باتت تلك الآثار تغرق في صمت الحجارة بعد أن كانت ذاكرة الزمان والمكان، وكأن حبال المراكب قد أرخيت إلى الأبد.

برجك اليوم

نجلاء قباني

الحمل: تأتي إلى عملك باكراً وتتحمل مسؤولياتك مؤمناً بما تفعل معتمداً على أصدقائك، لأنهم يدعمون خبراتك ويمدحون أعمالك ويساعدونك على القفز باتجاه الأفضل.

الثور: لا تترك الأمور عائمة لكي لا تتضايق من وعود كاذبة أو تدخل نزاعات أنت بغنى عنها، نوبات من الغضب يجب أن تتغلب عليها قبل أن تفقدك أصدقاء أنت تحبهم.

الجوزاء: الأيام جيدة فيها مسؤوليات إضافية وعمل كثير وكأنك تدخل ورشة إصلاح وتأهيل لأمورك، العملية ابتداءً من فريق عملك وانتهاءً بأثاث العمل أو مستلزماته.

السرطان: أنت مسؤول وواقعي وتعرف تماماً ما يجب عليك فعله ضع أهدافاً تنوي الوصول إليها، أيام جيدة وفيها مصالحات أو مناقشات أو لقاءات قد تفرحك وتهدئ من المشاكل.

الأسد: قد تشعر بالتعب وتفضل العزلة والسبب قد يكون شجاراً بسيطاً تضخمه تمسك بلطفك وبهدوئك وخاصة مع من تحب كأفراد العائلة أو أصدقائك أو زملاء العمل.

العذراء: أيام لشرح مشاعرك ومناقشة أمورك العاطفية والعائلية بشكل واضح ومفهوم وبناء، والحقيقة أنك تملك سلة تفاهمات يؤيدك عليها من حولك ويفرحون معك أو تفرح معهم في جديد.

الميزان: مستحقات للدفع وقلة في الدخل استخلص العبر من تجارب فاشلة سابقة وقلل من إسرافك، الأمور المالية هي محور اهتمامك ليس فقط لأن المال جيد بل لأنك تستعمله بطريقة فاعلة.

العقرب: قراراتك حكيمة واليوم مبشر بالحظ السعيد للسير بحياتك نحو تغييرات مفيدة وبناءة، أنت تعيش أوضاعاً استثنائية قد تغير فيها حياتك وقد تقلب الأمور لمصلحتك في أي لحظة.

القوس: لا تنكفئ وتفضل أن تتألم بمفردك وبعيداً عن الأنظار من دون أن تتنازل لتطلب معونة الأصدقاء، ولا تسمح للملل أو الحزن بأن يسيطر عليك واستشر مختصاً في كل عارض صحي لك أو لأحد أفراد العائلة.

الجدي: أنت في اليوم الأفضل للسفر وللتجارة وللتعارف العابر وقد تقوم برحلة تسعدك، وتستطيع أن تطير كالفراشة من زهرة إلى زهرة وتنتقي وتختار فالعروض كثيرة والتعارف جيد.

الدلو: لاحظ أنك تثير غيرة من حولك ومن الطبيعي أن تجد أحياناً أشخاصاً يعادونك، أو يعرقلون مشاريعك فحاول أن تتخطى أي حدث صغير أو نقاش حاد ولا تضخم الأمور الصغيرة.

الحوت: لاحظ كم أنت مختلف هذا اليوم حتى عن نفسك فأنت واثق من نفسك ومن قراراتك، تفرض أوامرك وتجتمع بمرؤوسيك وتأمرهم وتوجههم وتؤثر في سير العمل حولك.

مولود ٣ نيسان

شهر جيد جداً لأنك تمتلك الثقة بنفسك وتحاول جدياً بذل الجهود في تطوير وإصلاح أمورك المهنية وقد تحل بعض المشاكل المعلقة، الأمور المهنية جيدة فالحظوظ مساعدة لترتب أمورك باتجاه ترقية أو سفر أو مسعى جديد لتحسين وضعك، فأنت مؤثر في الآخرين مسموع الكلمة وقد تصل إلى إكمال اتفاقات أو عقود لم تنجز من الشهر السابق فأنت تدخل شهراً جيداً على صعيد تحالفات مع أصدقاء العمل أو علاقات اجتماعية قد تساعدك في أعمالك وأنا أظن أنك مشغول بأمور اجتماعية قد تخص أحد أفراد العائلة، قد تهمك شخصياً كخطبة، ارتباط، امتحانات، أوراق، بيع أو شراء.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١- مخرج مسرحي تونسي شهير.
٢- من الأوزان- آلة موسيقية- نصف بوقي.
٣- يخلصْ- سحب- عُمر (م).
٤- للنداء (م)- يفرزه البحر (م)- هارب (م).
٥- خاصته- يعرف- أعلن الحرب (م).
٦- محقّ- مديد.
٧- لعب وسرور (م)- مدينة مغربية- للتأوه.
٨- شارك- متشابهان- خاصتي.
٩- نصف أقمع- وَجع- حروف متشابهة.
١٠- مدينة إيطالية- جدها في يتوجع.
١١- ظهر- شحيحة (م).
١٢- ممثلة مصرية- قهوة (م).

عمودي:

١- دواء- سيف.
٢- بلدي- نسبة إلى دولة عربية.
٣- تربط (م)- عتب عليه- قلبه.
٤- من الطيور- غنّى (م).
٥- دان- نصف ليون- أحصل.
٦- والد- شكل ولباس- صبي (م).
٧- تنقّل (م)- إشفاق.
٨- تشكيلي عراقي عالمي- ضمير منفصل (م).
٩- جدها في أنتبه- هواء عليل (م)- حرف ناصب.
١٠- ذكي.
١١- دولة عربية- نهر عربي.
١٢- مخرج سينمائي مصري راحل- قوام.

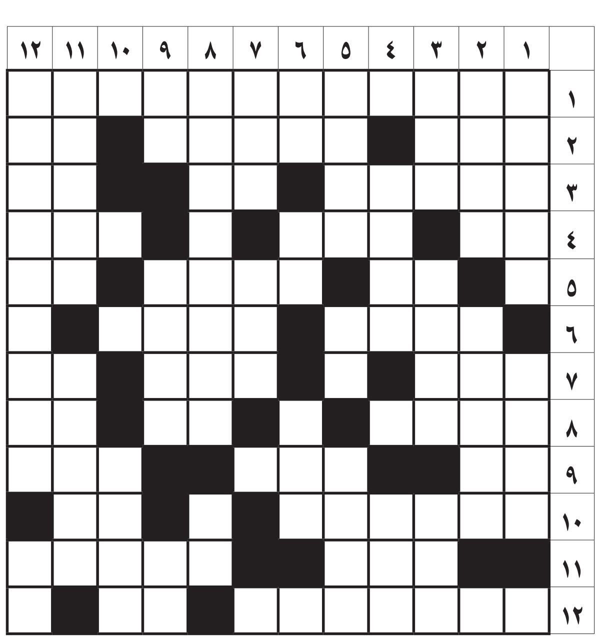

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ا	ن	ط	و	ن	ي	ك	و	ي	ن	■	ب
٢	م	ع	ر	ف	هـ	■	■	ا	■	ي	ق	ر
٣	ل	م	■	ا	م	د	ي	■	ن	ر	ي	د
٤	د	ا	ع	ا	■	■	■	ل	ا	■	ا	■
٥	ن	ن	ن	■	م	ح	ل	■	و	م	م	ع
٦	ق	■	ا	م	س	■	ي	م	س	ك	■	■
٧	ل	ا	ق	■	ا	ق	ت	ت	ا	ل	■	ا
٨	■	ر	■	ر	ف	ا	ق	ي	■	■	ر	ع
٩	س	د	■	و	هـ	ن	■	■	س	د	ي	د
١٠	ي	هـ	ن	ا	■	ا	ر	و	ا	د	■	ا
١١	ا	■	ا	هـ	■	■	م	د	ي	د	■	ا
١٢	ن	ع	ي	م	ح	م	د	ي	■	د	م	ي

كلمة السر

ص	خ	ب	ك	ا	ل	م	ش	ت	هـ	ي	ا
ل	ت	ذ	ك	ر	ي	د	ب	ي	ن	ع	ل
ن	م	ل	ا	م	ح	ك	و	ل	ن	ب	هـ
ت	ت	ا	ء	هـ	ا	ا	ن	ي	م	و	ا
ت	ر	ا	م	ا	ح	ب	ك	ا	ت	ر	م
م	و	ل	ي	م	ك	ن	م	ل	س	ي	ش
ك	ا	ي	م	ن	ي	ا	ث	ت	ك	ب	ي
ن	ي	ك	هـ	ل	ف	ي	ل	ي	ع	ع	ع
ي	ة	ت	ق	و	د	ن	ي	ي	ا	ن	ط
ا	ا	ل	ت	ي	ج	ع	ل	ت	ع	د	ر
ا	و	م	ر	ح	ك	ة	ا	ن	س	ى	ك
ن	ح	د	و	د	ا	ل	ط	ر	ق	ا	ن

كلمة السر من تسعة حروف: ممثلة سورية.

(لن تتمكني أن تذكري عبوري الهامشي بين صخبك ومرحك... عند حدود عطرك المشتهى... ولن أنسى ملامحك التي جعلت مني متسكعاً تائهاً في الطرقات التي تقودني إليك.. هل يمكن أن أحبك مثل رواية؟).

SUDOKU

	6			7			1	
					8		3	
		8		9		7		
	7			8		1		
		2	6			8		
		4	3	5			9	
		1		6		4		
	4		1					
	9			2			5	

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

8	3	4	7	9	2	1	5	6
9	7	5	1	6	4	3	8	2
1	6	2	8	3	5	9	7	4
7	5	6	2	8	3	4	1	9
2	8	3	4	1	9	7	6	5
4	1	9	5	7	6	8	2	3
6	9	8	3	2	7	5	4	1
5	2	1	9	4	8	6	3	7
3	4	7	6	5	1	2	9	8

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	مشمس ٢٠°/٧°	مشمس ٢٤°/٨°
حمص	مشمس ١٩°/٧°	مشمس ٢٢°/٨°
حلب	غائم جزئياً ١٦°/٦°	غائم جزئياً ١٧°/٧°
اللاذقية	غائم جزئياً ١٨°/١٣°	غائم جزئياً ٢٣°/١٤°
السويداء	غائم جزئياً ١٥°/٦°	غائم جزئياً ٢٠°/٧°
الحسكة	غائم جزئياً ١٩°/٧°	غائم جزئياً ٢١°/٨°

من هو؟

ممثلة سورية إذا جمعت الأحرف:

٥ + ٢ + ١: البارحة.
٤ + ٣: لا نبوح به.
٧ + ٦: بحر.

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

الحل السابق: باسم ياخور.